قد علم المسلمون أن السر أحرز العملين ولكن في الإظهار فائدة ولذلك أثنى الله على السر والعلانية فقال تعالى إن
تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والإظهار قسمان أحدهما في نفس العمل
والآخر بالتحدث بما عمل. القسم الأول إظهار نفس العمل كالصدقة في الملأ لترغيب الناس في ذلك
كما روي عن الأنصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن
سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه عليها ويجري هذا المجرى في الصلاة والحج والغزو وغيره
ولكن الاقتداء في الطباع في الصدقة أغلب نعم الغازي إذا هم بالخروج فاستعد وشد رحله قبل
القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لأن الغزو في أصله من أعمال العلانية فلا يمكن إسراره
فالمبادرة إليه ليس من الإعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في صلاة الليل
لينبه أهله وجيرانه فيقتدى به وكل عمل لا يمكن إسراره كالحج والجهاد والجمعة فالأفضل المبادرة
إليه وإظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه شائبة رياء وأما ما يمكن إسراره كالصلاة
والصدقة فإن كان إظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر
أفضل لأن الإيذاء حرام وإن لم يكن فيه إيذاء فقد اختلف الناس فقال قوم السر أفضل من العلانية
وإن كان في العلانية قدوة وقال قوم السر أفضل من علانية لا قدوة فيها وأما العلانية للقدوة
فهي أفضل من السر ويدل عليه أن الله عز وجل أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب
النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل العملين ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم فله أجرها
أجرها وأجر من عمل بها وفي الحديث إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف
عمل العلانية إذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه فإنه مهما
انفك القلب عن شائبة الرياء وتم الإخلاص على وجه واحد في الحالين فما يقتدى به أفضل لا محالة
وإنما يخشى من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره به وهلك به
فلا خلاف في أن السر أفضل ولكن على من يظهر العمل وظيفتان إحداهما أن يظهره حيث يعلم أنه
يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به بعض دون بعض وإنما العالم المعروف
هو الذي يقتدي به كل الناس فغير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء
والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الإظهار من غير فائدة وإنما يصح الإظهار بنية

القدوة ممن هو من أهل القدوة على من هو في محل الاقتداء به. والوظيفة الثانية أن يراقب
قلبه فربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه إلى الإظهار بعذر الاقتداء وإنما شهوته التجمل
بالعمل وبكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا أهل الإخلاص وقليل ما هم
فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فإن الضعيف كالغريق مثله
الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر جماعة غرقى فرحمهم فيقبل عليهم فيتشبثوا به
فيغرق ويغرقون والغرق بالماء في الدنيا ألمه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه
دائم وهذه مزلة أقدام العباد والعلماء فإنهم يتشبهون بالأقوياء في الإظهار ولا تقوى
قلوبهم على الإخلاص فتحبط أجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك أن يعرض
على نفسه أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من أقرانه ويكون لك
في السر مثل أجر العلانية فإن مال قلبه إلى أن يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه
الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس ورغبتهم في الخير فإنهم قد رغبوا في الخير بنظرهم إلى غيره
وأجره قد توفر عليه مع إسراره فما بال قلبه يميل إلى الإظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراآة الخلق
فليحذر العبد خدع النفس فإن النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب
غالب وقلما تسلم الأعمال الظاهرة من الآفات فلا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيئا فالسلامة
في الإخفاء وفي الإظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالنا فالحذر من الإظهار أولى بنا وبجميع
الضعفاء. القسم الثاني أن يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم إظهار العمل
نفسه والخطر في هذا أشد لأن مؤونة النطق خفيفة على اللسان وقد يجري في الحكاية
زيادة ومبالغة وللنفس لذة في إظهار الدعاوي إلا أنه لو تطرق الرياء لم يؤثر في إفساد
العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوي قلبه
وتم إخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك
عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل مندوب إليه إن صفت
النية من جميع الآفات لأنه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل ذلك
عن جماعة من السلف الأقوياء. قال سعد بن معاذ ما صليت قط صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي بغيرها

حتى أفرغ

Copyright © King Saud University